لغز زعيم العصابة



محمود سالم

لغز زعيم العصابة

تأليف
محمود سالم



لغز زعيم العصابة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٧٣ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

شريط التسجيل

بعد نهاية لغز «عصابة التزييف» مضى أسبوعٌ كاملٌ بدون أن يتَّصل المفتش بالأصدقاء الخمسة ... كان مشغولًا ... وقضى المغامرون وقتهم يُناقشون لغز «عصابة التزييف»، واللغز الذي قبله — لغز «الفهود السبعة» فقد كان اللغزان يَربطهما شيءٌ واحدٌ هو استطاعة زعيم العصابة الهرب في نهاية المغامرة الأولى ... ثم في نهاية المغامرة الثانية ...

وقالت «نوسة»: لقد سمَّيناه الزعيم الزئبقي ... فقد تمكَّن من الهرب منَّا مرتين ... فكيف حدث هذا؟

محب: لقد كان ذكيًّا ... فهو يعمل خلف ستار. إنه لا يعمل بنفسه ... بل يُحرِّك عصابته من بعيدٍ ... كأنه لاعب عرائس ماهر ... يُحرِّك الخيوط فتَلعب العرائس ... بدون أن يراه أحد!

كانوا يجلسون في أثناء هذا الحوار في حديقة منزل «عاطف» و«لوزة» كالمعتاد، وكان «تختخ» يجلس على الكرسي مغمضًا عينيه، كأنه نائمٌ ... ولكنه في الحقيقة كان يستمع إلى حوار الأصدقاء، وهو يُفكر في الكلمات الأخيرة التي قالها مُساعد زعيم العصابة ... الرجل الوحيد الذي شاهَدَه وعرفه ... كانت الكلمات تدور في ذهن «تختخ»، وكأنه يسمعها من مذياعٍ قريبٍ ... «لقد خنتني ... ها أنت ذا تركتَني أموت، وتتمتَّع أنت بكل شيءٍ ... وتُسافر إلى كلِّ مكانٍ في الدنيا ... سيارات ... طائرات» ...

هذه هي كل الكلمات التي قالها مُساعد الزعيم، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ... فهل يُمكن معرفة هذا الزعيم من هذه الكلمات؟ هل يُمكن الاستدلال عليه والإيقاع به بعد أن استطاع الهرب مرتين، في مغامرتين؟

لم يكن هذا مُمكنًا ... لقد كان ما قاله مساعد الزعيم مجرَّد كلمات عتابٍ، ولم تكن معلومات!

ولكن «تختخ» قال فجأةً: لقد قال لنا المفتش «سامي»: إن هناك كلماتٍ أخرى مسجَّلة على شريط، قد يكون بها معلومات أكثر!

قال «عاطف»: نعم … هذا ما قاله فعلًا في نهاية المغامرة السابقة …

تختخ: إن ما نطلبه الآن هو الشريط فقط لنسمع المعلومات، فقد تُؤدِّي إلى شيءٍ … وإذا كان المفتش مشغولًا فليرسل لنا الشريط الآن … ثم نراه فيما بعد … هاتي التليفون يا «لوزة»!

وأسرعت «لوزة» تُحضر التليفون … وأدار «تختخ» رقم المفتش، وسرعان ما كان الصوت الهادئ العميق يردُّ عليه، وبعد أن تبادلا التحيات قال «تختخ»: لقد ذكرت لنا أن عندكم شريطًا مسجَّلًا عليه ما قاله مساعد الزعيم من كلمات قبل أن يموت. إننا نُريد هذا الشريط.

المفتش: لقد قمنا بتفريغ الشريط … ومن المُمكن أن أرسل لك نسخةً مكتوبةً على الآلة الكاتبة لما قاله الرجل …

تختخ: هذا مُناسبٌ جدًّا …

المفتش: ستصلك بعد نصف ساعة. وإذا توصَّلتم إلى استنتاجاتٍ مُفيدةٍ فاتصلوا بي!

تختخ: اتفقنا!

ووضع «تختخ» سماعة التليفون ثم قال: ستصلُنا نسخة من حديث مساعد رئيس العصابة بعد نصف ساعةٍ.

نوسة: الشيء المدهش أننا حتى الآن نقول مساعد رئيس العصابة … ألم يكن له اسم؟

تختخ: الواقع كما تقولين، أن زعيم العصابة جرَّده من جميع أوراقِه حتى لا يعرف أحد شخصيته!

لوزة: وهكذا أصبح مجهولًا مثل الزعيم تمامًا.

نوسة: لا يُمكن أن يكون كذلك … لأنه كان يتصل بأفراد العصابة، وهم يعرفون اسمه، فلماذا لا نُحاوِل أن نعرفه منهم؟

محب: أذكر أنه كان له اسمٌ واحدٌ، وليس اسمًا كاملًا … ومع ذلك فلنطلب من المفتش أن يعرف اسمه بالكامل.

تختخ: لنَنتظِر حتى نرى ماذا تحمل كلمات مساعد الزعيم من معلومات؛ فقد تدلُّنا على شيءٍ … أو تضع بين أيدينا طرف خيط يُمكن أن يؤدي إلى هذا الرجل الزئبقي الغامض.

ومضى الوقت وهم يتحدَّثون، ثم حضر رسولٌ من طرف المفتش «سامي» يحمل مظروفًا باسم «توفيق» ... وفتحه «تختخ»، وأخذ يقرأ على الأصدقاء، وهم يستمعون بانتباهٍ شديدٍ:

ها نحن نَفترق أخيرًا ... لقد خنتَني ... وتركتني أموت، وتتمتع أنت بكل شيءٍ ... وتسافر إلى كل مكان في الدنيا ... سيارات ... طائرات ...

وبعد هذه الكلمات كانت مساحة بيضاء ... ثم مضى يقرأ: لقد كنَّا في المدرسة معًا ... النجار ... النجار. وكنت دائمًا تتصور نفسك عظيمًا ... ولكن ها أنت ذا تنتهي طريدًا للعدالة ...

ثم كانت هناك مساحة بيضاء أخرى تدلُّ على أن الرجل توقَّف عن الكلام ثم مضى «تختخ» يقرأ: لا بدَّ أن تذهب لأمي، قل لها إنني أخطأتُ وندمتُ على خطئي، وأعطِها نصيبي من المال ... وقل لها: اتصلي بالأستاذ «عبد السميع» ... لقد كنتُ أحبُّه كأبي ... وكم نصَحَني ألا أستمع إليك ... ولكن ... الوقت ... انتهى لم ... لقد كان من الممكن ... أن ... أن ...

ورفع «تختخ» رأسه؛ فقد انتهى المكتوب في الورقة ...

وهبط صمتٌ ثقيلٌ على الخمسة وهم جالسون، وكلٌّ منهم يُعيد الكلمات في رأسه محاولًا أن يخرج منها بشيءٍ ... وكان «زنجر» يُحاول أن يسكت هو الآخر ... ولكنه ضاق بالصمت فأخذ يجذب «لوزة» من طرف فستانها مُحاولًا أن يأخذها؛ لتسير معه ... ولكن «لوزة» مدَّت يدها تُربِّت على رأسه، وهي تنظر إلى «تختخ» في انتظار تعليقه.

ولكن «عاطف» سبق بتعليقٍ ساخرٍ: لقد هرَب الزعيم إلى الأبد ... فهذه المعلومات لا تَكفي للقبض على ناموسة!

لم يضحك أحد ... فقد كانوا جميعًا يَتصوَّرون أنهم سيحصلون على معلوماتٍ هامةٍ لبداية مغامرةٍ جديدةٍ يَقبضُون فيها على الزعيم الزئبقي ... ولكن ما سمعوه كان مفاجأةً ... فأين هي أم مساعد زعيم العصابة؟ وأين الأستاذ «عبد السميع» وماذا يعني بكلمة «النجار»؟ هل هو نجار فعلًا أم اسم شخصٍ؟!

ولم يستسلم «عاطف» لليأس، بل قال: دعوا هذا الزعيم يهرب ... تعالوا نبحث عن زعيم آخر!

قالت «لوزة» ساخطةً: يا أخي ... بدلًا من أن تُفكِّر معنا ... تُطلِق هذه التعليقات التي تُشتِّت أذهاننا!

تختخ: من المهم حقًّا أن نَعرف اسم مساعد زعيم العصابة ... إن معرفة هذا الاسم ... وربما العنوان الذي كان يسكن فيه يُمكن أن يُؤدِّيا إلى طرف خيط يُؤدي إلى الزعيم!

ومرة أخرى قام «تختخ» بالاتصال بالمفتش «سامي»، وطلب منه كلَّ المعلومات التي حصل عليها رجال الشرطة عن مساعد الزعيم، فقال المفتش: لقد اتَّضح أنه من ذوي السوابق؛ فقد قُبض عليه عدة مرات ... وله سجلٌّ عندنا ... اسمه بالكامل «صبحي عبد المنعم حسين» ...

تختخ: وهل عندكم معلومات عن محلِّ سكنه؟

المفتش: لا ... ولكن أول سرقة ارتكبها كانت في شبرا ... وكان عمره ١٦ سنة ... ثم قُبض عليه مرةً أخرى في حادث سرقةٍ في الجيزة ... وتعدَّدت حوادثه بعد ذلك ...

تختخ: وهل عندكم صورة له؟

المفتش: نعم ... هناك صورة له وهو صغير ... وصور أخرى له بينها آخر صورة عندما قُبض عليه مؤخَّرًا!

تختخ: هل يُمكنني الاطلاع على مجموعة الصور؟

المفتش: طبعًا ... ولكن ما أهمية ذلك؟

تختخ: إنني أعتقد أن «صبحي» هو طرف الخيط إلى زعيم العصابة المُختفي ... هل أحضر إليك الآن؟

المفتش: فليكن ذلك غدًا. فإنني مشغول اليوم!

تختخ: اتفقنا ... سأكون عندك في التاسعة ...

المفتش: إلى اللقاء ...

ووضع «تختخ» السماعة ... وأوضح للأصدقاء حديثه مع المفتش «سامي»، وقال: أعتقد أن عندنا ما يكفي من المعلومات لبدء البحث عن الزعيم ...

محب: أين؟

تختخ: في شبرا!

محب: ياه ... إنه مشوارٌ طويلٌ!

تختخ: ستكون البداية فقط في شبرا ... ولكنَّني أتوقع أن نذهب إلى أماكن كثيرة للبحث عن «صبحي» ... المهم كيف بدأ «صبحي»؟!

نوسة: هل عندك خطةٌ معينةٌ؟

تختخ: نعم. خطة أشبه بالتحقيقات الصحفية ... سنبحث عن إبرة في كومة القش ... ولكنَّنا سنَجدها ...

بداية عمل

في التاسعة من صباح اليوم التالي كان «تختخ» يجلس في مكتب المفتِّش «سامي» يَتناول الشاي وأمامه ملفٌّ كاملٌ باسم «صبحي عبد المنعم». وكان الملفُّ يَشمل ملخَّصًا لسلسلة الحوادث التي ارتكبها ... وبصماته وبعض صورٍ له.

وأخذ «تختخ» يقرأ: في سنة ١٩٤٢م، وسنُّه ١٦ سنة ارتكب أول سرقة له، وكان معه شريك، ولكنه رفض أن يبوح باسمه، وكانت سرقة بسيطة ولكن ...

وسرَح «تختخ» ... يُفكِّر ... لا بدَّ أن هذا الشريك، هو الذي أصبح زعيم العصابة فيما بعد ... إنه منذ البداية يَشتغِل بنفس الأسلوب ... يَرسم الخطط ... ويَترُك الآخرين يُنفِّذونها ... ولا يظهر هو مُطلقًا.

ومضى «تختخ» يقرأ: بعد ذلك بخمس سنوات قُبض عليه في حادث سرقةٍ مسلَّحة وحُكم عليه بالسجن ٧ سنوات، ثم قُبض عليه مرةً أخرى بعد ٤ سنوات بتُهمة التزوير ... ولكنه استطاع الهرب، واختفى ولم يَظهر بعد ذلك، وفي كل مرةٍ لم يكن يَعترف على شريكه أو شركائه.

وانتهى التقرير ... وأخذ «تختخ» ... يتأمل الصور ... صورة ولد في السادسة عشرة وسيم الشكل. كيف تحوَّل هذا الولد الرقيق الجميل إلى مُجرِم؟! بالتأكيد كان ذلك تحت تأثير أصدقاء السوء. هؤلاء الذين يُزيِّنون للأولاد في هذه السن ارتكاب الجرائم الصغيرة التي سرعان ما تتحوَّل إلى جرائم كبيرة تنتهي حياة أبطالها في أعماق السجون.

وقبل أن يَسترسل «تختخ» في خواطرِه ... قاطعه المفتش قائلًا: والآن ... ما رأيك؟

رد «تختخ»: لم أتقدَّم كثيرًا!

المفتش: معك حق ... فالمعلومات قليلة جدًّا ... وهذا الزعيم الزئبقي ظل طول الوقت خلف الستار لا يعرفه أحد ... حتى منذ كان ولدًا صغيرًا!

تختخ: على كل حالٍ إن المهمة القادمة تُناسب المغامرين الخمسة أكثر مما تُناسب رجال الشرطة. فسوف نتتبَّع ماضي «صبحي» حتى نعرف أين بدأ حياته ... ونتعرَّف بأصدقائه ... لعلَّنا في النهاية نستطيع أن نصل إلى الزعيم الخفي ...

المفتش: إنها تُشبه التحقيق الصحفي!

تختخ: بالضبط!

وصمت «تختخ» ... لحظةً ثم قال للمُفتِّش: قل لي ماذا يَخطر ببالك عندما تسمع كلمة «نجَّار»؟

المفتش: لا شيء سوى رجل يَعمل بالنجارة!

تختخ: هذا ما يخطر ببال أي شخصٍ ... ولكن ما دخل رجل يعمل بالنجارة بـ «صبحي»؟

قال المفتش مبتسمًا: إنك تسألني ... ولكن أنت المسئول عن الإجابات ...

ابتسم «تختخ» أيضًا وقال: معك حق ... وسوف نحصل على الإجابات قريبًا!

وبعد أن أخذ «تختخ» ملخَّصًا بالمعلومات التي بالملف، غادر مكتب المفتش وعاد إلى المعادي حيث كان بقية الأصدقاء في انتظاره، وروى لهم ما تمَّ في المقابلة بينه وبين المفتش، ثم أضاف: ليس هناك جديدٌ ... ولكن هناك فكرةً خطرت ببالي ... إن أهم المعلومات التي عندنا هو تاريخ ارتكاب «صبحي» أول جريمة له ... كان ذلك سنة ١٩٤٢م وعمره ١٦ سنة ... وفي مثل هذه السن يكون الطالب في نهاية المرحلة الابتدائية ... أو بداية الثانوية!

نوسة: لعلك تقصد المدرسة الإعدادية!

ابتسم «تختخ»: لم تكن هناك مدارس إعدادية في ذلك التاريخ ... كانت هناك مدارس ابتدائية وثانوية فقط ... وكان التلاميذ أكبر سنًّا من الآن!

عاطف: وماذا يعني هذا؟

تختخ: سنبحث عن المدرسة التي كان فيها!

ضحك «عاطف» قائلًا: نبحث في آلاف المدارس ... وبين آلاف التلاميذ ... شيء مُضحك!

تختخ: إنك لم تُفكِّر طويلًا ... إننا لن نبحث إلا في عشر مدارس أو أكثر قليلًا ... سنبحث في مدارس شبرا فقط ... فقد ارتكب «صبحي» أول حادثة له في شبرا!

محب: معك حق ... ولكن هذا هو المرجَّح ... ففي مثل هذه السن لا يذهب السارق الصغير بعيدًا عن مكان منزله ومدرسته ... وكثيرًا ما تكون السرقة من الجيران أو الأقارب!

لوزة: في هذه الحالة لا بدَّ أن نحصل على أسماء وعناوين المدارس ... فكيف؟

تختخ: من دليل التليفون!

وأسرعت «لوزة» تُحضر دليل التليفونات ... وبحثوا عن المدارس التابعة لمنطقة شمال القاهرة التعليمية التي تتبعها مدارس شبرا ... وأخذ «محب» يقرأ أسماء المدارس الابتدائية والإعدادية ... وكان عددها ٣٥ مدرسة، وبعد أن انتهى من قراءته قال: ما هي خطوتك التالية يا «تختخ»؟

ردَّ «تختخ»: هل عندك عناوين هذه المدارس في دليل التليفونات؟

محب: لا. الموجود هو أسماء المدارس وأرقام التليفونات فقط!

تختخ: إن هذا يُصعِّب مهمتنا، ولكن لا بأس ... سيأخذ كلٌّ منا مجموعة من الأرقام ... وما دام العدد هو ٣٥ ونحن خمسة فلكلٍّ منَّا سبعة أسماء ... وعليه الاتصال بهذه المدارس ومعرفة عناوينها!

نوسة: ولكن لماذا؟

تختخ: سوف نزورها مدرسة مدرسة ونعرف في أي فصلٍ كان «صبحي» ... ومَن هم أصدقاؤه في هذه الفترة!

عاطف: معنى هذا أننا سوف ننتهي من هذه الزيارات وقد تجاوز عمرنا الأربعين!

وضحك الأصدقاء، وقالت «لوزة»: ولكن كيف نُقنعهم ليقولُوا لنا العناوين ... بأية طريقةٍ؟

تختخ: هذا لغزٌ بسيطٌ يا «لوزة» ... فكِّري في طريقة!

واحمرَّ وجه «لوزة» ... ولزمت الصمت فقالت «نوسة»: ما رأيكم في أن يدَّعي الواحد منا أنه شقيق أو شقيقة أحد الطلبة، وهو يسأل عن عنوان المدرسة ليَحضر إليها أو لمقابلة أحد المسئولين!

وابتسم «تختخ» ... وقال «عاطف» متحمسًا: معقول ... معقول جدًّا!

قالت «نوسة»: الحمد لله أنكَ وجدت شيئًا معقولًا في حديثنا!

نهض «تختخ» واقفًا وقال: لقد حان وقت الغداء، هيا بنا، وعلى كلٍّ منكم أن يتَّصل بالمدارس ... سآخذ أنا المدارس السبع الأولى ... و«محب» ... السبع التالية ... و«عاطف» السبع الثالثة ... وهكذا ...

وانصرف «محب» و«نوسة» معًا ... وخرج «تختخ» وحده ... بعد أن اتَّفق الجميع على اللقاء في المساء ... ولم يكد «تختخ» يقترب من منزله حتى وجد الشاويش «فرقع» يُغادرُه،

ونبح «زنجر»، كأنه ينبه «تختخ» إلى الشاويش. والتقيا وجهًا لوجهٍ. فنزل الشاويش من على درَّاجته وتقدم من «تختخ» قائلًا: أخيرًا وقع!

وانتبه «تختخ» لكلمة وقع وقال: من هو؟ زعيم العصابة؟

قال الشاويش: لا ... هذا الكلب الأسود ... لقد اشتكى أحد المواطنين أن كلبًا أسود قد عضَّه منذ ساعتين ... وعرفتُ على الفور أنه هذا الكلب ...

قال «تختخ» في ضيق: هكذا مرة واحدة؟! كلب أسود يعضُّ شخصًا فيكون الكلب هو «زنجر»! أليس في المعادي كلها كلب أسود سوى هذا الكلب؟!

الشاويش: إنه كلبٌ شرس ...

تختخ: إنك تعلم جيدًا يا حضرة الشاويش أن «زنجر» لا يعضُّ أحدًا مطلقًا ... إلا إذا كان لصًّا ... أو ...

وتوقف «تختخ» عن إكمال جملته فصاح الشاويش بغضبٍ ... أو من؟

تختخ: لا أقصد يا حضرة الشاويش ...

الشاويش: تقصدني أو لا تقصدني ... هاتِ هذا الكلب وتعال معي!

تختخ: لن أحضر يا حضرة الشاويش ... مع احترامي الشديد لأوامرك ... ولكن هذا الكلب لم يعضَّ أحدًا اليوم!

الشاويش: كيف تُؤكِّد هذا؟

تختخ: لأنه كان معي منذ الصباح، وهناك شهود ...

الشاويش: الشهود طبعًا هم بقية المغامرين الخمسة.

تختخ: نعم ... وقد تُكذِّبهم كالمعتاد. ولكن والدة ووالد «عاطف» و«لوزة» ... شاهَداه أيضًا. فهل تتَّهمُهما بالكذب!

احمرَّ وجه الشاويش، وقفز إلى دراجته قائلًا: قد يُفلت هذه المرة أيضًا ... ولكن أؤكد لك ...

قال «تختخ» مقاطعًا: تقول لي الأسطوانة المعتادة نفسها ... إنك في يوم ما سوف تقبض عليه، وترسله إلى الإعدام!

الشاويش: أؤكد لك ...

تختخ: وأنا أؤكد لك أيضًا أن هذا لن يَحدُث مطلقًا!

وانطلق «تختخ» وخلفه «زنجر» الذي لم يَفُته أن يَقفِز على قدمي الشاويش مداعبًا كالمعتاد ... وصاح الشاويش أَبعِده عنِّي ... أبعد هذا الكلب الشرس!

وصفَّر «تختخ» لـ «زنجر» ثم قال: هيَّا بنا ... الغداء أهم يا «زنجر» ...

وترك الشاويش وهو يسبُّ ويَلعن، ويُقسم أنه في يوم ما سوف يقبض على هذا الكلب اللعين، وسوف يُرسله إلى حيث لا يعود مرة أخرى!

وكان الشاويش ما زال مستمرًّا في لعناته عندما دخل «تختخ» منزله، وكم كانت دهشته عندما وجد «لوزة» قد اتَّصلت به منذ دقيقة واحدة، لتَطلُب منه الاتصال بها لأمر هامٍّ بمجرد وصوله!

النجار!

أسرع «تختخ» إلى التليفون، وطلب «لوزة» وهو يتساءل عن الأمر الهام الذي تريده من أجله ... لقد كانت معه حتى نصف ساعة مضت فماذا حدث في نصف الساعة؟

على الخط جاء صوت «لوزة» مُتلهِّفًا مثيرًا قائلة: لقد عثرت على كلمة «النجار» في العناوين التي كنَّا نبحث عنها!

أثارت كلمات «لوزة» اهتمام «تختخ» فورًا وقال: كيف؟

لوزة: عندما عدتُ بدأت أستخدم التليفون فورًا ... بعض المدارس لا يرد لأننا في إجازة ... مدرسة «السيدة حنيفة الإعدادية» ردَّت ... كان المتكلم هو فراش المدرسة ...

وسكتت «لوزة» لحظات تَستردُّ أنفاسها المتلاحقة، وكان «تختخ» ... في غاية التلهُّف لسماع بقية حديثها، ومضت «لوزة» تقول: وسألت الفرَّاش عن عنوان المدرسة فقال إنها في شارع النجار ... بأول شبرا ...

ضحك «تختخ» قائلًا: إنك أنشط مُخبِرةٍ في العالم ... لقد عثرتِ عمَّا كنت أفكر فيه خلال الأيام الماضية ... وأعتقد أننا عثرنا على طرف الخيط الذي سيُؤدِّي بنا إلى زعيم العصابة!

لوزة: هل تظنُّ أن النجار الذي تحدَّث عنه «صبحي» هو شارع النجار؟

تختخ: أُرجِّح ذلك. وسوف أتحدَّث إلى المفتش «سامي»، وأطلب منه أن يطلب كشفًا بأسماء التلاميذ الذين كانوا بالمدرسة عام ١٩٤٢م ... فإذا كان «صبحي» بينهم فسنكون في الطريق الصحيح!

وبعد أن أنهى «تختخ» مكالمته مع «لوزة» اتصل بالمفتش «سامي» وأخطره باستنتاجاته، وطلب منه كشف تلاميذ مدرسة «السيدة حنيفة الإعدادية» عام ١٩٤٢م.

قال المفتش: من الصعب الحصول على هذا الكشف اليوم. ولكن سنحصل عليه غدًا!

وشكر «تختخ» المفتش «سامي»، وتناول غداءه بصدرٍ منشرحٍ؛ فقد عثر على البداية ... وبعدها يستطيع المغامرون الخمسة أن يجدوا طريقهم إلى الزعيم الخفي ... وقال «تختخ»، وهو يتناول قطعة لحمٍ: مهما تصوَّرتَ أيها الزعيم أنك ستُفلت من يدنا. فإنك لن تفلت أبدًا. وسوف تقع كما وقع قبلك الكثير من المجرمين.

ودُهش والده وهو يسمع هذا الكلام فقال: ما هي الحكاية؟ هل تُحدِّث نفسك؟

وتنبَّه «تختخ» إلى ما حدث وابتسم ...

وفي المساء اجتمع الأصدقاء ... وقضوا وقتًا مَرِحًا وهم ينتظرون صباحًا فيه أخبار قد تؤدي إلى مغامرةٍ مثيرةٍ ... وقد ضحكوا كثيرًا عندما اكتشفوا أن «محب» كشف عن أسماء وعناوين المدارس في دليل التليفونات القديم ... وكانت به الأسماء فقط، وليست به عناوين ... والدليل الجديد فيه الأسماء والعناوين معًا.

وفي مُنتصَف نهار اليوم التالي كان كشف تلاميذ مدرسة «السيدة حنيفة» موجودًا بين يدي «تختخ» ... وكانت مفاجأة مثيرة للأصدقاء أن وجدوا اسم «صبحي عبد المنعم حسين» بينهم، وكان المفتش قد وضع تحته خطًّا، وكتب بجواره: لقد صحَّت استنتاجاتكم، ففي إمكانكم مواصلة البحث، وسوف نُساعدُكم.

لم يتمالَك «تختخ» نفسه وقال: ألم أقل لكم!

قال «عاطف» ساخرًا: ألا تَنتهي من الحديث عن نفسك؟! لقد كانت مُجرَّد خبطة حظٍّ موفقٌ ... ولا شيء آخر!

ردَّ «تختخ» محتدًّا: خبطة حظٍّ ... إنَّ الحظ لا يأتي وأنت جالس تطرقع أصابعك ... إنه يأتي بالعمل الشاق، والتفكير المنظَّم ... إن الحظ يا «عاطف» نتيجة الفكر والعمل، وليس مجرد مصادفة ...

محب: أرجو ألا نُضيِّع وقتنا في الفلسفة ... المهم الآن ما هي الخطوة التالية؟

تختخ: الحقيقة أن الخطوة التالية أوحى لي بها تحقيق صحفي قام به أحد المُحرِّرين، ويقوم التحقيق على وجود صورة قديمة لبعض الزملاء في مدرسة واحدة في سنة ما ... ثم معرفة أين ذهب كلٌّ منهم ... وكان من المدهش أنه في إحدى الصور ظهر شخصان مُتجاوران في الفصل، وعندما كبرا أصبح أحدهما سجينًا ... والثاني هو ضابط السجن!

نوسة: غير معقولٍ!

تختخ: لقد قرأت هذه المعلومات في إحدى المجلات، وقد نجد نحن صورةً قديمة لـ «صبحي عبد المنعم» وزملائه في المدرسة ونحصل على معلوماتٍ أكثر غرابة …

لوزة: المهم أن نَحصُل على الصورة!

تختخ: سأبذل محاولة الآن لذلك … سأذهب إلى مدرسة السيدة حنيفة، وأقابل بواب المدرسة الذي أرجو ألا يكون قد تَغيَّر، فإنَّ بوابي المدرسة يعرفون أكثر التلاميذ، وبخاصة في الماضي عندما كان عدد التلاميذ أقل!

محب: ولكنه قد يكون بوابًا شابًّا!

تختخ: ذلك سيكون من سوء الحظ، ولكن دعونا نُحاول وتعالَ معي يا «محب».

وبعد ساعة في المواصلات من المعادي إلى القاهرة … إلى شبرا … أشرفا على المدرسة القديمة … وقبل أن يصلا إليها أطلا على اسم الشارع … وكان اسمه «شارع علي النجار».

واقتربا وكلٌّ منهما يُمنِّي نفسه أن يجد بوابًا عجوزًا، ولكن للأسف لم تتحقَّق الأمنية. فقد كان البواب شابًّا قويًّا لا يَتجاوز عمره الثلاثين، ولا يُمكن أن يكون هو بواب المدرسة من حوالي ٢٥ سنة … ولكنَّهما تقدما منه وقد استقرَّ «تختخ» على فكرة … فبعد أن حيَّاه قال: إننا نبحث عن البواب السابق!

قال الشاب ببساطة: تَقصد عم «علي»؟

تختخ: نعم … عم «علي»!

البواب: لقد أُحيل إلى المعاش منذ فترةٍ طويلةٍ!

تختخ: وهل ما زال حيًّا!

البواب: نعم، وهو يبيع للتلاميذ اللبَّ والفول في أثناء السنة الدراسية!

تختخ: هل تَعرف عنوانه؟

البواب: إنه يسكن قريبًا من هنا!

وأخذ البواب الشاب يُشير بيديه، ويتحدَّث وهو يَشرح مكان عم «علي» حيث يجلس بعربته الصغيرة … وشكره «تختخ»، ثم اتجه هو و«محب» حيث أشار البواب الشاب، ومن شارعٍ إلى شارع … ومن حارة إلى حارة حتى شاهَدا الرجل العجوز يَجلس أمام قفص صغير عليه كومة من اللب وأخرى من الفول السوداني وثالثة من الحمص، واقترب «تختخ»، وأخرج من جيبه قرشَين وطلب من العجوز أن يعطيه بقيمتهما لبًّا وفولًا … ومدَّ العجوز يدًا مُرتعشةً إلى الكومتين، وأخذ يملأ قرطاسين صغيرين …

انتهز «تختخ» الفرصة وقال: ألستَ عم «علي» بواب مدرسة «السيدة حنيفة»؟

ردَّ الرجل: نعم ... ولكنِّي تركتها منذ سنوات بعيدة!

تختخ: كم قضيتَ في العمل هناك؟

العجوز: كثير ... لقد قضيت عمري كله هناك!

تختخ: هل كنت هناك سنة ١٩٤٢م؟

العجوز: قبل ذلك بعشر سنواتٍ أو أكثر ... وبعد ذلك بسنواتٍ طويلة!

ورقص قلب «تختخ» ونظر إلى «محب» الذي بادله ابتسامته ... وكان الرجل قد ناولهما قرطاسي اللب والفول ... فأخذا يقزقزان ويمضغان وهما يتحدثان إلى العجوز الطيب ...

قال «تختخ»: هل ما زلتَ تذكر أسماء الطلبة الذين كانوا بالمدرسة!

وابتسم الرجل العجوز عن فمٍ خلا من الأسنان وقال: كيف أتذكَّر الألوف!

تختخ: إننا سنَسألُك عن واحد فقط منهم ... كان بالمدرسة في سنة ١٩٤٢م!

العجوز: أيام الحرب العالمية!

تختخ: كان اسمه «صبحي عبد المنعم حسين»!

هزَّ العجوز رأسه وبرقت عيناه، وخفَقَ قلبا «تختخ» و«محب» فقد كانت الكلمات القادمة بعد ذلك سوف تَحسم الموقف كله ... وقال العجوز: صبحي عبد المنعم حسين!

تختخ: نعم ... صبحي عبد المنعم!

وعاد الرجل يَهزُّ رأسه، ثم تقدَّم ولدٌ صغير يشتري من العجوز بعض اللبِّ والفول. وأحسَّ «تختخ» بأنه سيَنفجِر من الغيظ ... وكاد «محب» يسبُّ ويلعن ... ولكنهما تمالكا أعصابهما، والعجوز يملأ القرطاس بيدٍ مُرتعشةٍ. ويتحدث مع الولد الصغير يسأله عن أسرته ... وانتهى العجوز، ووضع القرش في جيبه ثم التفت إلى «تختخ» و«محب» ... فعاد «تختخ» يسأله: صبحي!

قال العجوز: نعم ... نعم ... صبحي عبد المنعم ... مَن الذي ينسى هذا الولد!

وتنفس «تختخ» الصعداء وهو يقول: أنت تذكره؟

العجوز: طبعًا ... أذكره ... لقد كان ولدًا مهذَّبًا وطيبًا ... ولكن ...

وسعَلَ العجوز ... واستمر يسعل لحظات، ثم استعاد أنفاسه ... وكادت أنفاس «تختخ» و«محب» تنقطع، وهما في انتظار إجابته ... وبعد دقائق مضى العجوز يقول: كان ولدًا صغيرًا لطيفًا عندما جاء إلى المدرسة ... وكان ناجحًا وممتازًا ... ولكنه تعرَّف ببعض الأولاد المُنحرِفين ... ووقع تحت تأثيرهم وبدأ يتعثَّر في دراسته ... حتى إنه وصل

إلى السنة الرابعة الابتدائية وهو في السادسة عشرة ... ثم ارتكب جريمةً ولم يَعُد بعدها إلى المدرسة!

ونظر «تختخ» إلى «محب» ... كأنه يُريد أن يقول له إنَّ استنتاجاته مضبوطة ...

وقال «تختخ»: وهل تذكر هؤلاء الأولاد؟

قال العجوز: أذكر بعضهم ... فقد كانت هذه الحادثة من أسوأ ما مرَّ بي في المدرسة ... وقد حزنت من أجل «صبحي» جدًّا ... وإن كنتُ ما أزال متأكدًا أنه ضحية الأولاد الذين كانوا معه!

تختخ: هذا ما أتصوَّره أنا أيضًا!

العجوز: أنت ... هل تعرف صبحي!

تختخ: نعم ... تقريبًا أعرفه!

العجوز: أين هو الآن؟

تختخ: لقد مات!

العجوز: مسكين ... ماتَ في هذه السن المبكرة!

تختخ: وبسبب أصدقاء السوء أيضًا!

العجوز: لقد كانوا خمسة ... يسيرون دائمًا معًا، ويَهرُبون من المدرسة معًا ... وكم نصحتهم!

تختخ: هل تذكر أسماءهم جميعًا!

هزَّ العجوز رأسه وقال: لا ... لقد مضى على ذلك وقت طويل ... لقد تذكرت صبحي فقط للحادثة التي ارتكبها ... ولكن لا أتذكَّر الباقين بالضبط ...

تختخ: أرجو أن تتذكر ... إن هذا يُهمُّنا جدًّا!

أخذ العجوز يهزُّ رأسه ويُسوِّي كم اللب الذي أمامه ثم قال: أذكر واحدًا منهم فقط ... لأنه استقام وأكمل دراسته، أصبح الآن رجلًا معروفًا. وهو يسكن قريبًا من هنا!

تختخ: عظيم ... مَن هو ... وأين يسكن؟

قال العجوز: في شارع الأزهار ... لا أعرف رقم البيت، ولكنها عمارةٌ كبيرةٌ في الشارع ... واسمه «حسن أبو المجد» ...

تختخ: وأين شارع الأزهار هذا؟

وأخذ العجوز يُشير بيديه وهو يوضِّح للصديقين الطريق إلى الشارع حتى عرفا مكانه، وشكرا العجوز وانصرفا ...

قال «محب»: إنني أشعر أننا لا نتقدَّم كثيرًا!

تختخ: ليس بالسرعة المطلوبة ... ولكن مثل هذا اللغز يحتاج إلى صبرٍ طويلٍ ... فنحن نبحث عن رجلٍ مجهولٍ بين ملايين الناس ... وسنتتبَّعه خطوةً خطوةً ... وسوف نعثر عليه ...

محب: أرجو ذلك ...

صورة قديمة

لم يكن صعبًا العثور على العمارة الكبيرة في شارع الأزهار حيث يسكن «حسن أبو المجد»، وتبادل «تختخ» وبوَّاب المنزل حديثًا سريعًا، عرف منه «تختخ» أن الأستاذ «حسن» محامٍ معروف، وأنه صاحب العمارة، ومكتبه في شارع قصر النيل، ولكنه لا يعود إلى مسكنه قبل الثالثة بعد الظهر، ثم يُغادره إلى مكتبه مرةً أخرى في السابعة مساء.

قال «تختخ» للبواب: أرجو أن تخبره أنني سأزوره الساعة السادسة والنصف بعد الظهر لحديث هام معه ...

وبعد أن انصرف قال «محب»: لماذا لا نذهب إليه في المكتب بدلًا من العودة بعد الظهر ...

تختخ: لأنَّ ما أبحث عنه ليس موجودًا في مكتبه ... إنه في الغالب في منزله!

محب: تبحث عن ماذا؟

تختخ: عن صورةٍ تضمُّ هؤلاء الأصدقاء جميعًا معًا!

محب: صورة؟

تختخ: نعم ... إنَّ من التقاليد المدرسية القديمة أن يجتمع زملاء الفصل الواحد في صورةٍ تذكاريةٍ ... وبخاصة إذا كانوا في الشهادة الابتدائية، وعن طريق هذه الصورة سوف نرى زعيم العصابة وعمره بين ١٤ سنة و١٦ سنة وهو متوسِّط العمر لطلبة تلك الأيام في الشهادة الابتدائية ...

محب: إنني أتذكَّر لغزًا آخر استفدنا فيه من صورةٍ قديمة!

تختخ: نعم ... أظن أنه كان لغز التسعة!

وعادوا إلى «المعادي» ... حيث التقيا ببقية المُغامرين الخمسة، ورويا لهم الخطوات التي تمَّت!

قالت «لوزة» معلِّقة: إنه لغز سخيف. وثقيل الظل!

نوسة: لماذا؟

لوزة: لأنه استنتاجات فقط، ليس فيه حركة ولا مغامرة!

تختخ: على كل حالٍ هناك كثير من الألغاز كانت هكذا ... ثم انقلبت إلى مغامراتٍ عنيفةٍ ... ومن الأفضل لنا ألَّا تكون هناك مغامرات، فنحن نتعرَّض فيها لأخطار لا نعرف نهايتها ...

لوزة: إنَّ الحياة بدون أخطارٍ لا معنى لها!

عاطف: فلسفة طفلةٍ صغيرة تُريد أن تشعر بأهميتها ...

تختخ: ليس أمامنا يا «لوزة» ... إلا هذه الخطة ... وإلا فاقترحي أنت خطة أخرى!

صمتت «لوزة» وأضاف «تختخ»: وقد يَنكشِف لنا شيءٌ عند لقاء الأستاذ «حسن أبو المجد» فإلى اللقاء في الثامنة هذا المساء ...

وفي السادسة والنصف تمامًا كان «تختخ» و«محب» يَطرُقان باب مسكن الأستاذ «حسن» الذي كان في انتظارهما ...

كان «تختخ» قد أعدَّ خطة معقولة للحديث مع الأستاذ «حسن» فقال: إننا طالبان بإحدى المدارس، ونقوم بدراسة صحفية عن الطلبة أيام زمان، وقد وقع اختيارنا على تلاميذ مدرسة «السيدة حنيفة» عام ١٩٤٢م للحديث معهم ...

قال الأستاذ «حسن»: إنَّ ذلك تاريخٌ قديمٌ حقًّا ... ولكن سأحاول أن أتذكر!

تختخ: هل تَذكُر أسماء زملائك التلاميذ الذين كانوا في الفصل؟

حسن: لا أذكرهم كلهم ... لقد كنَّا حوالي عشرين تلميذًا!

تختخ: لقد قال لنا بواب المدرسة إن خمسة منكم كانوا يُكوِّنُون «شلة» صغيرةً تأتي إلى المدرسة معًا ... وتلعب معًا ... فهل تذكر هؤلاء الخمسة؟

حسن: نعم ... هؤلاء أذكرهم جميعًا ... «كمال السيد» وهو يَملك مطبعةً في شارع محمد علي ... «وعزيز سيدهم» طبيب ... و«علي بدر» صاحب مكتب استيراد وتصدير ... و«صبحي عبد المنعم»...

وسكَت الأستاذ «حسن» قليلًا ثم قال: وقد تُوفيَ منذ فترة قصيرة ... وأنا!

تختخ: هل أجد عندك صورة لكم معًا؟

حسن: أعتقد أن عندي بعض الصور!

وقام الأستاذ «حسن» ففتح دولابًا قديمًا ... وأخرج «ألبومًا» للصور، ثم فتح الألبوم، وأخذ يقلِّب فيه، ثم توقَّف عند صفحة ونزع منها صورة قدَّمها لهما قائلًا: هذه صورةٌ لنا نحن الخمسة معًا في رحلة بالقناطر الخيرية ... كُنَّا وحدنا.

وأخذ الصديقان ينظران في الصورة جيدًا ... كانا يدركان أن واحدًا من هؤلاء الخمسة هو زعيم عصابة ... ولكن من هو؟

قال «تختخ»: هل تستطيع أن تعطينا هذه الصورة لمدة أسبوع فقط!

ردَّ الأستاذ «حسن»: طبعًا!

تختخ: أرجو أن تكتب لنا على ظهر الصورة أسماءهم!

حسن: الأسماء موجودة ... وتاريخ التقاط الصورة أيضًا ... فقد اعتدت أن أسجِّل على كل صورة اسم من فيها وتاريخ التصوير حتى لا أنسى!

وأخذ الصديقان الصورة وشكرا الأستاذ «حسن» ... ثم خرجا وهما في غاية السعادة ... فقد حصلا على أول دليل في اللغز ... فإذا استطاعا استغلاله جيدًا ... فسوف يصلان إلى الزعيم الغامض ... الزئبقي الذي لا يعرفه أحد ...

وعندما وصلا إلى المعادي كانت الساعة قد أشرفت على الثامنة، فاتجها فورًا إلى حديقة منزل «عاطف» حيث يَجتمِع بقية الأصدقاء ... وأخرج «تختخ» الصورة من جيبه ووضعها أمام الأصدقاء في حركةٍ مسرحيةٍ قائلًا: أيها المغامرون ... هذا هو زعيم العصابة!

قالت «لوزة» مبهورةً: أين هو؟

قال «تختخ»: واحد من هؤلاء الخمسة ... أو هؤلاء الأربعة بعد وفاة «صبحي عبد المنعم»!

ونظر «عاطف» باهتمامٍ إلى الصورة ثم زوى حاجبَيه قائلًا: زعيم العصابة واحد من هؤلاء؟ لا بدَّ أنه زعيم عصابةٍ لسرقة اللبِّ والحمص وكيزان الذرة المشويِّ.

وانحنى «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» على الصورة ثم رفعوا عيونهم في دهشةٍ إلى «تختخ» الذي قال: أقصد أنها صورته من حوالَي ثلاثين عامًا تقريبًا!

عاطف: ياه ... وكيف نعرفُه الآن ... هل نضع له شاربًا ونخلع بعض شعر رأسه ... ونضيف كمية مناسبة من التجاعيد إلى وجهه؟

تختخ: أرجو أن تكون مُتغابيًا فقط لا غبيًّا يا «عاطف»، إننا نبحث عن هؤلاء الخمسة واحدًا واحدًا ... وكلٌّ منهم لا بدَّ أن عنده ذكريات عن الآخر ... عن هذا الطريق سنصل إلى الزعيم الزئبقي!

محب: وقد عرفنا أسماء الخمسة، وأين يعملون الآن ... أولًا «صبحي عبد المنعم» وقد مات ... «حسن أبو المجد» المحامي الذي زُرناه، ونحن نَستبعِد أن يكون هو الزعيم ... ثم «عزيز سيدهم» وهو طبيب ... قد نستطيع استبعاده أيضًا!

رفع «تختخ» يده مُحذِّرًا قال: لن نستبعدَه إلَّا بعد جمع كل المعلومات اللازمة عنه ...

محب: وعندنا «علي بدر» وهو يَملك مكتبًا للاستيراد والتصدير، و«كمال السيد» وهو صاحب مطبعة!

صاحت «لوزة»: مطبعة!

محب: نعم. قد فكَّرتُ مثلما تُفكِّرين!

نوسة: إنه فعلًا المرشَّح رقم واحد ليكون زعيم عصابة تزييف!

تختخ: معكم حق ... ولكن يجب ألا نؤسِّس شبهاتنا عليه لمجرد أنه صاحب مطبعة. فقد يكون بريئًا!

لوزة: ما هي خطوتنا التالية؟

تختخ: ستقوم «لوزة» ... بجمع المعلومات عن الدكتور «عزيز»؛ فخالها الدكتور «مختار» لا بدَّ يعرفه ... وإذا لم يكن يعرفه، فسيُساعدها في جمع المعلومات عنه!

وسكت «تختخ» قليلًا ثم قال: ويقوم «عاطف» بجمع المعلومات عن «علي بدر» صاحب مكتب الاستيراد والتصدير ... ولا تنسوا أن هذه المهنة فيها أسفار كثيرة. وقد أشار «صبحي عبد المنعم» إلى أنَّ زعيم العصابة يسافر بالقطارات والطائرات ... فلعله هو!

محب: وأنا؟

تختخ: تجمع المعلومات عن المحامي، فليس معنى أننا التقَينا به أنه بعيد عن الشبهات!

نوسة: وأنا؟

تختخ: ستتجمَّع عندك كل المعلومات ... ستفحصينها جيدًا، وأنت قارئةٌ ممتازةٌ ... وقد تستطيعين بالقراءة الدقيقة والاستنتاجات أن تَصلي إلى ما لم نَصِل إليه بالجري هنا وهناك!

وهنا هزَّ «زنجر» ذيله وكأنه يقول: وأنا أيضًا!

فربت «تختخ» على شعره الأسود اللامع وقال: وسيأتي دورك بالتأكيد يا «زنجر» أما أنا فسأتابع «كمال» صاحب المطبعة!

ونبح «زنجر» وكأنه متضايق من أنهم لم يسندوا إليه دوره فورًا ...

وانفض الاجتماع ... وأسرع كل منهم إلى دليل التليفونات ليعرف المعلومات الأولية ... العنوان ورقم التليفون ...

الرجل السادس

في اليوم التالي انطلق الأصدقاء كلٌّ في مهمَّته ... كانوا جميعًا يدركون أن «تختخ» اختار، صاحب المطبعة لأنه أكثر الخمسة قربًا لزعيم عصابة تزييف ... إن التزييف أساسًا عملية طباعة، فإذا كان أحد الأربعة الأحياء، المُشتبه فيهم يملك مطبعة ... فهو أقرب من أيٍّ واحدٍ لزعامة العصابة ...

وهكذا أخذ «تختخ» طريقه إلى شارع «محمد علي» حيث كانت المطبعة كما عرف من الأستاذ «حسن أبو المجد» المحامي ... وأخذ يَسأل على طول الشارع المُزدحم حتى وصل إلى المطبعة ... ووجد اسمها مكتوبًا عليها «مطبعة الأمانة» صاحبها ومديرها «كمال السيد» ...

كانت واجهة المطبعة من الزجاج المصقول ... وكل شيءٍ فيها يدعو للاحترام، فقد كان مظهرها بعيدًا عن كل شبهةٍ ... وراجَعَ «تختخ» خطته، ثم دخل إلى المطبعة، وطلب مقابلة المدير، وكانت معه الصورة التي أخذها من المحامي ...

قال كمال: طبعًا ... لقد كان زميلي في المدرسة الابتدائية وكنَّا ستة أصدقاء لا نفترق ...

تختخ: كنتم ستة ... أم خمسة؟

وارتبك «كمال» قليلًا وقال: آسف ... أقصد كنا خمسة أصدقاء لا نفترق ... وقد سار كل منَّا في طريق!

تختخ: واحد أصبح طبيبًا ... والآخر مُحاميًا ... والثالث صاحب مكتب استيراد وتصدير والرابع أنت ... والخامس ...

قال كمال: الخامس ... تقصد «صبحي عبد المنعم» ...!

واكتسى وجهُه بالأسف لحظات ثم قال: لقد قرأت منذ فترة أنه مات، بعد أن قُبض عليه في عصابة تزييف ...

تختخ: هل كانت علاقتك به وثيقة؟

كمال: لا ... لقد كنتُ أراه بين فترة وأخرى ... ولم أكن أعرف طبعًا أنه يتشغل بالتزييف ...

تختخ: وآخر مرة رأيته فيها؟

اكتسى وجه «كمال» بحمرةٍ مُفاجئة وقال: لماذا تسألُني هذه الأسئلة؟ لماذا جئت؟ ما هي صفتك؟

كان هذا الانقلاب المفاجئ في حديث «كمال» مبعثًا لارتباك «تختخ» فقال: إن مجلة مدرستنا تقوم بتحقيقٍ صحفيٍّ عن حياة التلاميذ منذ ثلاثين عامًا ... وقد اخترنا مدرسة «السيدة حنيفة» لأنها قديمة لإجراء هذا التحقيق ... وقد قابلنا الأستاذ «أبو المجد» المحامي فروى لنا بعض ما يعرف عن زملائه ... ومنهم أنت ...

كمال: وماذا قال لك عني؟

تختخ: لم يقل شيئًا سوى اسمك وعنوانك ... وجئت لأَحصل على المعلومات منك ...

وقف «كمال» قائلًا: آسف ... ليس عندي ما أقوله ... لقد نسيت كل شيء عن تلك الأيام، وتستطيع أن تسأل غيري.

أدرك «تختخ» أنَّ المقابلة قد انتهت ... وأنه لم يحصل على أية معلومات أخرى من «كمال» ... فقام واقفًا ... ومدَّ يده مسلمًا برغم كل شيء ...

وعندما استدار خارجًا شاهد على الجدار الزجاجي للغرفة يد «كمال» وهي تمتدُّ مسرعةً إلى التليفون ...

خرج «تختخ» ورأسه حافل بعشرات الأفكار والخواطر ... من الواضح أن «كمال» يُخفي سرًّا ما ... إنه لا يُريد أن يتحدث عن شيءٍ ... فلماذا؟ ما هو السر الذي يخفيه؟ هل هو زعيم العصابة؟

واتجه «تختخ» إلى «العتبة» وركب الترام إلى «باب اللوق» ثم القطار إلى «المعادي» ... ووجد «نوسة» وحدها. فلم يكن أحد من الأصدقاء قد عاد بعد ...

وعندما رأت «نوسة» «تختخ» أدركت أن ثمة شيئًا هامًّا يشغل رأسه ... وجلس «تختخ» وبدأ يروي ما حدث بينه وبين «كمال» من حديث، و«نوسة» تتابعه باهتمام فلما انتهى من حديثه قالت: إنني موافقة على شكوكك حيال «كمال» ... إن رفضه الحديث عن السادس ...

وتوقفت «نوسة» فقال «تختخ»: هل لاحظتِ أنتِ أيضًا ... لقد كنا نقول إنهم خمسة ... ولكن يبدو أن هناك سادسًا ... لقد كنتُ مخطئًا عندما تسرَّعتُ وقلتُ إنهم خمسة ... لقد كان يجب أن أتركه يتحدث عن الستة!

وفي تلك اللحظة وصلت «لوزة» ... جلست ساكتةً لحظات ثم قالت: لم أحصل على معلوماتٍ تؤدِّي إلى أي شيءٍ ... الدكتور «عزيز» رجلٌ ممتاز ... وقد استقبلني في منزله بعد أن أوصاه خالي الدكتور «مختار» ... وقد ضحك كثيرًا عندما علم أنني أريد أن أستمِع إلى قصة حياته ... وقال إنه ليس فيها شيءٌ هامٌّ. ولما ذكَّرته بمدرسة «السيدة حنيفة» وشلَّة الأصدقاء الذين كانوا معه روى لي بعض الذكريات عنهم ... ولكن يبدو أننا أخطأنا في العدد ... فهم لم يكونوا خمسة ...

أسرع «تختخ» يقول: كانوا ستة!

قالت «لوزة» مُندهِشةً: كيف عرفت؟

تختخ: هذا أهم ما يُمكن معرفته ... إن زعيم العصابة في الأغلب هو الرجل السادس ... ولكن لستُ أدري لماذا لا يُريدون جميعًا الحديث عنه ... الفراش العجوز قال إنهم كانوا خمسة ... المحامي قال إنهم كانوا خمسة ... صاحب المطبعة بعد أن قال إنهم كانوا ستة عاد فأكَّد أنهم كانوا خمسة ... لماذا؟

لوزة: لا بدَّ أنه يُهددهم ... أليس زعيم عصابة؟

نوسة: المهم الآن أن نعرف من هو!

وهنا أخرجت «لوزة» صورة من جيبها وأشارت إلى ولد بين مجموعة من الأولاد، وقالت: هذا هو الرجل السادس!

قفز «تختخ» من مكانه، وأمسك بالصورة وأخذ يُدقِّق النظر فيها ... وإصبع «لوزة» الصغير يشير إلى الولد السادس: هذا هو الولد المطلوب!

قال «تختخ» متسارع الأنفاس: هل عرفت اسمه؟

لوزة: طبعًا ... إنَّ اسمه هو ... هو ...

نوسة: هو ماذا «يا لوزة»؟

لوزة: ياه ... لقد ...

تختخ: لا تقولي إنك نسيته!

لوزة: لا ... لقد كنتُ أُحاول أن أعتمد على ذاكرتي ... ولكن اسمه على ظهر الصورة ...

وقلب «تختخ» الصورة ... ووقع بصره بسرعة على الاسم السادس ... «شحاتة علي» ... وقال «تختخ» مبتسمًا: ها أنتِ ذي تُسجلين براعتك مرة أخرى أيتها المغامرة الصغيرة. إن هذا الاسم لا يعرفه رجال الشرطة أنفسهم ...

وفي هذه اللحظة وصَل «محب» وخلفه ظهَر «عاطف» وقال «محب» وهو يُلقي بنفسه على مقعد: رحلةٌ مُرهِقةٌ بلا داعٍ؛ فعندما ذهبت إلى المحامي وجدته قد سافر إلى «طنطا» لحضور قضية هناك!

عاطف: أما «علي بدر» فقد غادر القاهرة منذ شهر في رحلة عملٍ إلى «أوروبا» ولم يعد حتى الآن ... والمعلومات التي جمعتُها عنه لا تؤدِّي إلى شيءٍ ... فهو حقًّا كثير الأسفار ... ولكن عمله نظيف لا تشوبه شائبة ...

تختخ: لقد حصلنا على المعلومات المطلوبة ... المهم هي الخطوة التالية!

عاطف: المعلومات المطلوبة؟! هل عرفتُم شخصية زعيم العصابة؟

تختخ: نعم ... عرفنا اسمه ... عرفته «لوزة» ... وقد كنا نتصور أنها لن تعثر على معلومات على الإطلاق ...

ومدَّ «تختخ» يده بالصورة إلى «محب» و«عاطف» وأشار إلى أحد الأولاد في الصورة قائلًا: هذا هو «شحاتة علي» أو زعيم العصابة!

ونظر «عاطف» إلى الصورة طويلًا ثم قال: إنه يُشبه زعيم عصابة فعلًا ... بقامته الطويلة، واستهتاره الواضح ... ونظرةِ الشرِّ في عينيه! المهم كيف نقبض عليه؟

هزَّ «تختخ» رأسه قائلًا: إنك مُتفائلٌ جدًّا ... إن المسافة بين هذه الصورة وبين القبض عليه كالمسافة بين الأرض والشمس ... بعيدة جدًّا! ... ولكن ما فعلناه حتى الآن يؤكِّد أننا نسير على الطريق الصحيح!

محب: ولكن كيف جزمتَ بأنه زعيم العصابة ... أَلِمُجرَّد وجوده في صورة مع «صبحي عبد المنعم» عضو العصابة الميت؟!

تختخ: إنني أرجو أن تقوم «نوسة» بشرح القصة كلها باعتبارها مسئولة عن تجميع المعلومات حتى نصل لاستنتاجاتٍ محددةٍ.

قالت «نوسة»: لقد أعددتُ بحثًا صغيرًا عن الموضوع ... فقد اصطدمنا بعصابة التزييف أولًا في لغز الفهود السبعة ... واستطعنا الإيقاع بجزء من العصابة ... والمطبعة التي تطبع عليها ... ولكن بقية العصابة بما فيهم الزعيم استطاعوا الفرار ومعهم الكليشيهات، وهي أهم جزء في عملية التزييف ... ثم اصطدمنا بالعصابة مرة أخرى في لغز عصابة التزييف، ووقعت العصابة كلها في يد رجال الشرطة، كما تمَّ الحصول على الكليشيهات ... ولكن رئيس العصابة استطاع الإفلات مرةً أخرى وعرفنا أنه لا يَظهر لرجاله مطلقًا، وأنه يُدير العصابة من بعيد مُعتمِدًا على مساعدة «صبحي عبد المنعم». وقد وقع «صبحي»

في يد رجال الشرطة مصابًا ... وقبل أن يموت أدلى بحديث فهمنا منه أن زعيم العصابة كان زميلًا له في المدرسة ... وكانت هناك كلمات مثل «نجار» ودلَّتنا على الشارع الذي به المدرسة والمدرسة نفسها ... وعرفنا أن «صبحي» كان له عدد من الأصدقاء في فصلٍ واحدٍ ... وأنه ارتكب جريمة عام ١٩٤٢م وهو ما زال طالبًا، وأنه رفض الاعتراف على شريكه في الجريمة. وكانت الدلائل تدلُّ على أن هذا الشريك زميل له في المدرسة ... وهكذا بدأنا البحث عن هؤلاء الزملاء ...

سكتت «نوسة» لحظات فقال «تختخ»: هذا ملخصٌ ممتازٌ ... استمري يا «نوسة».

نوسة: وقد قال بواب المدرسة إنهم كانوا خمسة؛ هم: «كمال السيد» صاحب مطبعة ... «عزيز سيدهم» طبيب ... «علي بدر» صاحب مكتب استيراد وتصدير ... «حسن أبو المجد» المحامي ... ثم «صبحي عبد المنعم» المتوفى ... وقد بدأ بالمحامي ... الذي قدم صورة للخمسة معًا ... وذهب «تختخ» لمقابلة «كمال السيد» ... الذي تسرَّع وقال إنهم كانوا ستة ... وقد أكَّدت معلومات «لوزة» ... التي حصلت عليها من الدكتور «عزيز» أنهم كانوا ستة فعلًا ... وأمامنا الآن صورة فيها الستة معًا ... واحد منهم لا بدَّ ان يكون زعيم العصابة ... ونحن نستطيع استبعاد «صبحي» لأنه مات ... والدكتور «عزيز» لسُمعته الممتازة ... و«حسن أبو المجد» المحامي و«علي بدر» لأنه كان مُتغيبًا خارج مصر في أثناء الصدام مع العصابة ... ويبقى «كمال السيد» ... و«شحاتة علي» ... أو الرجل السادس الذي حاول الجميع أن يُخفُوه من الصورة ...

أنهت «نوسة» تقريرها المُتقَن وقال «محب»: لقد تذكرتُ الآن أن المحامي وهو يبحث في الصورة كان يَبحث بعيدًا عنا ... كأنه يُريد أن يخفي شيئًا ... ولا شك أنه كان يخفي الصور التي يظهر فيها الرجل السادس.

تختخ: هذه ملاحظةٌ معقولةٌ. ومن الواضح أنهم جميعًا يخشونه ... ربما يعرف أشياء عنهم لا يحبُّون أن يقولها، أو ربما يُهدِّدهم، وهذا هو الاحتمال الأكبر.

عاطف: لنا إذن جولة أخرى مع المحامي ...

تختخ: فعلًا ... وعلى «محب» أن يذهب للقائه مرةً أخرى ... أما أنا فسوف أتابع «كمال السيد» صاحب المطبعة ... إنَّ أحدهم سوف يؤدِّي بنا إلى زعيم العصابة الخفي ...

ولد صغير

في صباح اليوم التالي كان ثمة ولدٌ في ثياب بالية يحمل صندوقًا من الورق به كمية من علب الكبريت، يَجلس على الرصيف المقابل لمطبعة «كمال السيد» في شارع محمد علي، ولم يكن هذا الولد سوى «تختخ» في ثيابه التنكُّرية المفضَّلة ... ثياب الولد المتشرد ...

واختار الولد مكانًا ظليلًا بجوار أحد الأعمدة الضخمة القديمة ... وجلسَ ونظره الحاد مثبتٌ على باب المطبعة ... كان قلبه يُحدثه أن ثمة شيئًا سيحدث يُعينه في تتبُّع أثر الزعيم الخفي ... ما هو هذا الشيء؟ لم يكن يدري ... ومضَت الساعات بطيئة بدون أن يحدث الشيء المرتقب ... كانت حركة العمل تدور كالمعتاد ... زبائن يدخلون ... وزبائن يخرجون ... وعمال ... وعينا «تختخ» تراقب كل داخلٍ وخارجٍ ...

كانت صورة «شحاتة علي» معه ... صورته منذ ثلاثين عامًا ... لقد تغيَّر بالتأكيد، ولكن هناك أشياء لا تتغيَّر ... العينان وشكل الوجه المستطيل كما يبدو في الصورة.

إنه أملٌ بسيطٌ أن تعرف شخصًا من صورةٍ مضى عليها ثلاثون عامًا. ولكن لم يكن هناك حلٌّ آخر ... وأقبل المساء بدون أن يحدث شيءٌ.

في فترة المراقبة هذه كان ذهن «تختخ» يعمل ويستنتج ... ألم يكن من الأفضل إبلاغ المفتِّش «سامي» عن تطور الأحداث؟ ... إنه بالأجهزة البوليسية يُمكنه متابعة عمليات المراقبة أفضل ... ولكن في تلك اللحظة ظهر عاملان من عمال المطبعة يَحملان حقيبة كبيرة، انتقلا بها إلى الرصيف المقابل للمطبعة حيث يجلس «تختخ»، وسمع أحدهما يقول: إنه سيُسافر كالمعتاد، ويغيب طويلًا ...

قال الآخر: المهم أننا نَقبِض مرتباتنا!

قال الأول: ستَذهب أنت بالحقيبة إلى عمارة الإيموبيليا ... و...

وقبل أن يتمَّ جُملته أقبلت سيارة «تاكسي» أشار إليها ثم أوقَفَها ووضعا الحقيبة وركب أحدهما وانطلق، وعاد الثاني إلى المطبعة …

قام «تختخ» واقفًا … لقد أحسَّ أن الحوادث تتحرَّك وأن عليه أن يتحرك أيضًا … لم يكن في استطاعته اللحاق بالتاكسي … ولكنه كان يعرف أين يذهب العامل … وقفز إلى أول ترامٍ صادفه … وسار الترام إلى محطة في شارع شريف عند مبنى الأهرام القديم … وعمارة الإيموبيليا على بُعد أمتار … وأسرع «تختخ» على أمل ألَّا يكون «التاكسي» قد سبقه وبخاصة في زحام الشوارع … ولكن عندما وصل لم يجد «التاكسي» ولا العامل أمام العمارة الضخمة …

لم يتردد «تختخ» … بل تقدَّم من العمارة الضخمة، وقال لأحد البوابين: لقد حضر هنا عاملٌ منذ قليلٍ يَحمل حقيبةً كبيرةً …

وقال البواب: لم أرَ عمالًا ولا حقائب …

وعاد يتحدث مع زميله، ومرق «تختخ» … كالسهم إلى مدخل العمارة الضخمة …

وكم كانت مُفاجأةً له أن يرى العامل والحقيبة داخل أحد المصاعد، وقبل أن يلحق به كان المصعد قد تحرك، ووقف «تختخ» مشدوهًا لحظات، ولكنه نظر إلى أرقام اللوحة المضيئة على واجهة المصعد، وشاهده يقف عند الدور العاشر … ووقف في انتظار حضور أي مصعدٍ آخر … ومرت الدقائق ببطءٍ، وكان قد قرَّر أن يُلقي بنفسه في المعركة … وأن يُواجه الزعيم الخفي مهما كانت النتائج … وهكذا قفز في المصعد عندما نزل، وركب معه عددٌ آخر من السكان … كانوا ينظرون إليه — وهو بملاس المتشرِّد في ضيقٍ … وقرف … ولكنه لم يبال بشيءٍ حتى وصل المصعد إلى الدور العاشر وخرج منه … كان الظلام يسود الدهليز الذي وقف فيه … واستطاع بعد لحظات أن يتبيَّن أربع شقق مغلقة الأبواب حوله … فأين دخل العامل والحقيبة؟!

ووضع صندوق الكبريت جانبًا، ثم أخذ يقترب من كل باب ويقرأ الاسم الذي عليه … منزل مهندس … اسم راقصة مشهورة … مقر إدارة شركة سينمائية … شقة ليس عليها اسم … وضغط زر نور الدهليز … ولكنه لم يكن يعمل …

ووقف «تختخ» في الظلام الخفيف مُندهشًا … أين شقة الزعيم؟

وقرر أن يدقَّ جرس كل باب … وليُغامر … وهكذا تقدم من أول شقة … كانت شقة الراقصة المشهورة … ودقَّ جرس الباب طويلًا … ولكن أحدًا لم يرد … وتقدَّم من باب المهندس، وضرب الجرس … وسرعان ما فتح طفل ظريف الباب وقال: نعم!

قال «تختخ»: إنني أبحث عن شقة الأستاذ «شحاتة علي»!

قال الطفل باسمًا: لا أحد هنا اسمه «شحاتة علي»!

شجعت الابتسامة «تختخ» فقال: ألم ترَ منذ فترة قليلة شخصًا يحمل حقيبة ويدخل شقة هنا في هذا الدور؟

قال الطفل: لا!

تختخ: وهذه الشقة التي ليس عليها اسم ... من فيها؟

قال الطفل: لا أعرف ... إنها لا تفتح أبدًا!

تختخ: وشقة شركة السينما؟

عاد الطفل إلى الابتسام قائلًا: أظنُّ أنها لا تعمل في السينما أبدًا ... لقد حاولت أن أرى نجمًا واحدًا فيها فلم أرَ شيئًا ... إنَّهم جميعًا أشخاص عاديون ما عدا ممثلًا واحدًا ... «وحيد يسري» ...

أحسَّ «تختخ» براحة واطمئنان إلى هذا الطفل الذكي فقال له: هل تحب المغامرات؟

رد الطفل: طبعًا!

تختخ: ما رأيك أن تَشترك في مغامرةٍ!

الطفل: أشترك فورًا ... ما هو المطلوب منِّي؟

تختخ: دورٌ صغيرٌ هذه المرة ... سأقول لك على رقم تليفون ... اتصل به إذا لم أعد إليك بعد عشر دقائق ... اطلب المفتِّش «سامي»، واطلب إليه أن يأتي فورًا لأنَّ «توفيق» يطلبه ... المفتش «سامي» مدير البحث الجنائي.

ظهرت الشغالة على الباب، ولم تَكد ترى «تختخ» حتى صاحت به: امش من هنا ... ماذا تريد؟

ثم أغلقت الباب في وجهه ... لم يكن «تختخ» قد أملى رقم المفتش «سامي» بعد ... وأحسَّ بضيقٍ شديدٍ ... ولكنه توجه إلى الشركة السينمائية وضغط جرس الباب ... ومضَت لحظات، وسمع «تختخ» صوت أقدامٍ في الداخل ... ثم توقَّفَت الأقدام عند الباب ولم تفتح ... وأدرك «تختخ» أن من يقف خلف الباب يُراقبه من العين السحرية التي بالباب ... ثم سمع الأقدام تبتعد مرة أخرى ... ووقف مكانه حائرًا ... وفجأة فتح الباب، وظهر عملاق طويل القامة، انقضَّ على «تختخ» قبل أن يدرك ماذا يحدث، ووضع يده على فم «تختخ» وباليدِ الأُخرى جذبه بشدةٍ إلى داخل الشقة ثم أغلق الباب ...

حاول «تختخ» أن يُفلت، ولكن الرجل كان قويًّا كالثور وقال لـ «تختخ»: من الأفضل لك أن تهدأ، وألا تَصرُخ وإلا!

وأرخى قبضته بعد أن كاد «تختخ» يُغمى عليه. وقال العملاق: من أنت؟ وماذا تريد؟

كان ذهنُ «تختخ» يعمل بسرعةٍ هائلةٍ للبحث عن شيءٍ يقوله ... ووجد فكرة معقولة فقال: إنني أريد أن أشتغل بالتمثيل!

قال العملاق وهو يمدُّ يده في الضوء: لهذا وضعتَ على وجهك بعض المساحيق كالممثلين ... لقد جئتَ مُتنكِّرًا فما هو الدور الذي تُريد أن تلعبه؟

كان في صوت العملاق سخرية واضحة ... وقبل أن يرد «تختخ» ... فُتح بابٌ، وظهر «كمال السيد» ... صاحب المطبعة فنظر إلى «تختخ» في ضيق ثم قال: أنتَ مرةً أخرى!

كان شعر «تختخ» المستعار قد انزلق على كتفه بعد صراعِه مع العملاق ... ولم يكن في استطاعته أن يُنكر نفسه ...

انطلق «كمال» في الحديث بصوتٍ حادٍّ: ماذا تُريد بالضبط؟ ما هي حكاية الصورة التذكارية التي تحملُها؟!

وبدون أن ينتظر ردًّا ... دخل الغرفة التي خرج منها، وأغلق الباب بعد أن أشار للعملاق إشارةً معينة ... فتقدم العملاق من «تختخ»، ولكن قبل أن يصل إليه كان «تختخ» قد طوَّح بساقه بكل شدةٍ، وأصاب بطرف حذائه ساق العملاق بضربةٍ قاسيةٍ جعلت العملاق يُطلِق آهة عميقة ... وأسرع «تختخ» إلى الباب ففتحه وقفز إلى الخارج ... ولكن كان في انتظاره مفاجأة قاسية ... كان ثمة شخص يقف أمام الباب ... وصاح العملاق، أمسِكْه! وانقضَّ الرجل على «تختخ» ودار صراع قصير فقد تدخَّل العملاق مرةً أخرى ووضع يده على فم «تختخ»، وحمله الرجلان ودخلا الشقة، ولم يتركاه إلا بعد أن شدا وَثاقه ووضعاه في غرفة، ثم أغلقا الباب وانصرفا ...

برغم الباب المغلق كان «تختخ» يسمع حركة نَشِطة في الشقة ... صوت أقدام، وأشياء ثقيلة تُنقَل ... وأدرك أن من في الشقة يستعدُّون سريعًا لمغادرتها ... وأحس بالضيق العنيف ... لقد استطاع في النهاية أن يصل إلى زعيم العصابة بعد ثلاث مغامراتٍ، مخيفة ... ولكنه سقط في شرك بسيط ولكن لا يُمكن الفكاك منه ...

وتذكَّر «تختخ» الولد الباسم الصغير الذي في الشقة المجاورة ... هل فهم كلامه؟ هل يتمكَّن من الاتصال بالمفتش «سامي»؟ ولكنه لم يستطع أن يُعطيه رقم تليفونه ... فهل يعرف الولد الصغير كيف يتصرَّف!

بعد لحظاتٍ سكتت الأصوات في الشقة تمامًا ... وسمع «تختخ» صوت باب يُفتح ويُغلق وأدرك أن الزعيم وأعوانه قد غادروا المكان ... واستطاع أن يفلت بدون أن يراه!

مرت دقائق قليلة ثم سمع «تختخ» صوت باب يُفتح من جديدٍ ويغلق بسرعةٍ، وصوت أقدام تجري مسرعةً داخل الشقة ... ثم سمع طرقات قوية على الباب وصوتًا يَصيح آمرًا بفتح الباب ... ثم صوت تهشيم ... وسمع وكأنه في حلم صوتَ المفتش «سامي» يُنادي: توفيق ... توفيق ...

ولم يكن في استطاعة «تختخ» ... أن يردَّ ... فقد كان مكممًا ... استمر صوت المفتش ينادي ... ثم فتح باب الغرفة ونظر «تختخ» ... غير مصدِّق وهو يرى وجه المفتش المتجهم وفي يده مسدسه ... أسرع المفتش بفكِّ وثاق «تختخ» وهو يقول: هل آذَوك؟ مطَّ «تختخ» شفتيه اللتين آذاهما الرباط القوي ثم قال: لا! ولكن هل قبض على الزعيم؟

المفتش: لا أدري ... ولكن قبضْنا على رجلٍ طويل ... وآخر نحيف يلبس نظارةً طبيةً ولم نستجوبهما بعد ...

تختخ: ليس فيهما الزعيم ... الأول العملاق ليس هو الزعيم ... والثاني النحيف هو «كمال السيد» صاحب مطبعة، وأظنُّ أنه شريك الزعيم في التزييف ...

المفتش: على كل حالٍ لن يستطيع الفرار منَّا هذه المرة ... لقد وضعت حرسًا على المصاعد والسلالم ... فإذا كان موجودًا بالعمارة فلن يستطيع الإفلات!

تختخ: مَن الذي أبلغكم بوجودي هنا؟

المفتش: طفلٌ يُدعى «عصام» ... قال لي إنك تحدَّثت معه، وأنه شاهد الرجلين وهما يُهاجِمانك على الباب!

تختخ: إنه ولد ممتاز ... فلم أقل له على رقم تليفونك!

كان «تختخ» قد تخلص من وثاقه تمامًا ووقف ... وأسرعا معًا إلى خارج الغرفة وكان رجال الشرطة يَحرُسون العملاق وصاحب المطبعة، وقد جلسا على الأرض في ذلة ...

قال المفتش موجِّهًا حديثه إلى الاثنين: أين بقية مَن كان معكم؟

لم يرد الرجلان، فتقدَّم المفتش منهما وقال: لا فائدة من الإنكار ... أين بقية من كانوا معكم؟

قال «كمال»: لم يكن معنا أحدٌ!

المفتش: لم يفرَّ أحد ... وسوف يقع الزعيم الغامض هذه المرة!

قال «تختخ» إن اسمه «شحاتة علي» ... أليس كذلك!

لم يرد الرجلان فصاح المفتش: أَجِيبا ... هل اسمه «شحاتة علي»؟

قال العملاق: إنِّي لا أعرف أحدًا بهذا الاسم!

وقال «كمال»: ولا أنا!

قال «تختخ»: لا يا «كمال» ... أنت تَعرف «شحاتة علي» لقد كان زميلك في المدرسة، وأنت شريكه في التزييف!

رفع «كمال» عينَيه إلى «تختخ» في حقد وقال: نعم؛ لقد كان زميلي في المدرسة ... ولكنَّني لم أعد أراه!

المفتش: وما سبب وجودك هنا؟

كمال: لي أعمال مع الشركة السينمائية ... إنني أطبع لهم الإعلانات!

تختخ: إنهم جميعًا يَخافونه ... حتى بقية زملائه الذين يشغلون مناصب هامة ... كلهم يُخفُون حقيقته. إنه بالتأكيد يُهدِّدهم!

وفكر «تختخ» لحظات ثم قال: لقد عرفتُ اسمه ... إنه «وحيد يسري» ...

لم يكد العملاق و«كمال» يَسمعان الاسم حتى بدت عليهما الدهشة والاضطراب ... ولاحَظ المفتش و«تختخ» ردَّ الفعل الذي بدا عليهما ... وقال المفتش: لقد أصبت ... إنه «وحيد يسري» وهو شيءٌ مدهش جدًّا!

وحيد يسري

أمسك المفتش «سامي» بسماعة التليفون، وأصدر أمرًا بالقبض على الممثل «وحيد يسري» حيث يكون، ومنعه من مغادرة البلاد بأي طريقةٍ … ثم التفت إلى «تختخ» قائلًا: أرجو أن تعود الآن إلى منزلك … إنَّ الوقت متأخرٌ، وقد فعلت ما بوسعك، وأعدك ألا يهرب الزعيم الزئبقي مرةً أخرى.

كان «تختخ» مُتعبًا، فلم يَتردَّد في الموافَقة … وودَّع المفتش الذي أخذ هو ورجاله في تفتيش الشقتين … وخرج «تختخ» فوقف يَنتظر المصعد … وسمع صوت باب يفتح، ثم شاهد الطفل الباسم يُطلُّ من الباب، فتقدم «تختخ» منه ليَشكرَه، ولكن «عصام» أسرع إليه قائلًا: تعال معي!

تختخ: إلى أين؟

عصام: تعال ولا تقل لرجال الشرطة، إنني عندما تحدَّثتُ مع المفتش أخبرني أنك تقوم بمغامراتٍ كثيرة، وأنا أريد أن أشترِكَ معك في مغامرة!

تختخ: لقد اشتركت في المغامرة، وقمتَ بواجبك. وبالمناسبة كيف عرفت مكان المفتش «سامي»؟!

عصام: لقد قرأتُ اسمه في الجرائد كثيرًا … وعندما قلت لي اسمه ووظيفته تذكرته، فطلبت شرطة النجدة وأوصلوني به …

تختخ: أنت مُغامرٌ ممتازٌ!

ومدَّ «عصام» يده لـ «تختخ» فوضع يده فيها، ثم قاده إلى السلالم، صاعدًا معه إلى الطابق الحادي عشر … فقال «تختخ»: إلى أين تذهب بي؟

عصام: لقد كنت أتلصص من الباب منذ تحدثت معي، وشاهدت الرجلين وهما يمسكان بك ... ثم شاهدتهم وهم يرحلون!

تختخ: من هم؟

عصام: ثلاثة رجال ... العملاق ... وذو النظارات، ورجل ثالث أشيب الشعر!

قال «تختخ» مُندهشًا: ظننتكَ ستقول «وحيد يسري»!

عصام: لا ... برغم أنه في طوله وفي مثل قامته!

كانا يصعدان السلالم وهما يتحدثان ... وقال «تختخ» وإلى أين نحن ذاهبان الآن؟

عصام: إلى السطح!

تختخ: لماذا؟

عصام: لقد قالت لي «حسنة» الشغالة إنها شاهدَت رجلًا أشيب الشعر في المصعد وكان مضطربًا جدًّا ... وقد رأتْه وهو يضغط زرَّ المصعد إلى الطابق الأخير ... ولعله الرجل الثالث الذي خرج من الشقة ...

وصلا إلى سطح العمارة الضخمة الغارق في الظلام ... وبرغم نبض الحياة في الشوارع في مثل هذه الساعة ... فقد كان السطح يبدو كأنه عالمٌ آخر مهجور لا حياة فيه ...

تختخ: ماذا نفعل هنا؟ إنَّ الظلام كثيف ولن نرى شيئًا!

وقفا معًا صامتين ... وكانت أضواء الإعلانات البعيدة تلقي ضوءًا خفيفًا ملونًا على السطح فبدأ يُشاهدان بعض معالم السطح ... قباب المصاعد الضخمة ... ساريات التليفزيون ... بعض الصناديق الضخمة القديمة ... وكان الصمت مخيمًا لا يقطعه إلا أصوات أبواق السيارات البعيدة ... وفجأة أحسَّ «تختخ» بأعصابه تتوتَّر ... وتنسَّم رائحة الخطر ... شيء ما في نفسه حدَّثه بخطرٍ وشيك ... كانا يقفان قرب بعض الصناديق الكبيرة ... وخيِّل لـ «تختخ» أنه سمع صوتًا خفيفًا يصدر منها، هل كان صوت الريح؟!

وضغط يد «عصام»، فوجَدَه يضغط يده هو الآخر ... لقد سمع نفس الصوت ... ومال على أذنه قائلًا: انزل أنت يا «عصام» ... إني أحسُّ بخطرٍ قادمٍ ...

قال «عصام»: لن أتركك ... إنني أريد الاشتراك في المغامرة إلى نهايتها ...

تختخ: إذن قف مكانك ... وإذا سمعت صوت «بومة» فانزل فورًا إلى الطابق العاشر واستدع المفتش «سامي» إذا كان ما زال موجودًا!

وتقدم «تختخ» من الصناديق القديمة، وأخرج بطاريته الصغيرة ... وأرسل خيطًا من الضوء ودخل الصندوق الأول ... ثم الثاني ... ثم الثالث ... وفجأة وجد أمامه مُسدسًا مصوبًا إليه وصوتًا خافتًا: تقدَّم ولا تحدث صوتًا!

جمد «تختخ» في مكانه ... ودارت في رأسه عشرات الصور من المغامرات الثلاث التي حاول فيها الوصول إلى الزعيم الغامض ... والآن ها هو ذا في الأغلب أمامه ... على بُعدِ خطواتٍ منه. ولكن في يده مسدَّس ...

كان خيط الضوء قد وقع على وجه الرجل وبدت عيناه القاسيتان تلمعان في الضوء ... وأدرك «تختخ» أنه الزعيم ... نفس النظرة التي لم تتغيَّر بعد ثلاثين عامًا ... وكان واضحًا أنه مُتنكِّر في شكل رجل عجوز ... إذن فقد أوقع به طفل صغير هو «عصام»، وشغَّالة قوية الملاحظة ... وابتسم «تختخ» بالرغم عنه ... وأخرجه من تأمُّله صوت الرجل يقول: قلتُ تقدم، ولا تحدث صوتًا ...

كان الرجل جالسًا في الصندوق الضخم وبجواره حقيبة صغيرة. وفي يده المسدس ... وتقدم «تختخ» وفي سرعة البرق طوَّح بقدمه مصيبًا المسدس بضربةٍ قوية قذفت بالمسدس داخل الصندوق محدثًا صوتًا كالفرقعة ... وانحرف «تختخ» بجوار الصندوق، وقفز الرجل خارجًا ... وانحنى «تختخ» على الأرض وسار في هدوءٍ مُبتعدًا ... كان يريد الوصول إلى السلالم بسرعةٍ ... ولكن الرجل كان ذكيًّا ... ورآه «تختخ» يتجه هو الآخر إلى السلم ... فوقف في مكانه جامدًا ... وأطلق صيحة البومة ... ثم تحرك من مكانه سريعًا، واختفى خلف أحد الصناديق التي كان الرجل في أحدها ... كان يريد أن يحصل على المسدس بسرعة قبل أن يصل الآخر إليه ... واقترب من الصندوق ... وانحنى ليدخل ... وفي اللحظة نفسها ... شاهد الرجل يَنحني معه ... كانت مُفاجأةً لكليهما ... فتوقف لحظات ثم انقض الرجل على «تختخ»، فألقى «تختخ» نفسه داخل الصندوق محاولًا الوصول إلى المسدس. ودخل الرجل خلفه زاحفًا ... وبدأ صراعًا عنيفًا ... كان الرجل قويًّا، وكان «تختخ» يُدرك أنها معركة حياة أو موت ... فلن يتردَّد الرجل في الفتك به ... وفجأةً سمع «تختخ» صوت ضربةٍ قويةٍ خارج الصندوق ... ثم صاح الرجل صيحة ألمٍ وتراخَت يداه ... ثم سمع ضربة أخرى، وصاح الرجل ... وانتهز «تختخ» الفرصة، وأسرع خارجًا من الصندوق ... وعلى الضوء البعيد الخفيف شاهد «عصام» يقف وفي يده قطعة خشب ... وقال «عصام»: لقد شاهدت كل شيءٍ ... ووقفتُ قريبًا منكما ... حتى رأيت ساق الرجل تخرج من الصندوق في أثناء الصراع فضربته ضربتين!

قال «تختخ»: تعالَ نَبتعِد ...

وأسرعا يجريان في الظلام ... وقال «تختخ»: انزل أنت بسرعةٍ إلى المفتش وسأنتظر هنا بجوار السلم ... إنه لن يَستطيع الهرب فقد أصبته إصابةً بالغةً ...

وأسرع «عصام» ينزل السلالم ... على حين كمَن «تختخ» بجوار السلم، ومضت فترة ثم شاهد شبح الرجل وهو يَعرج سائرًا ناحية السلَّم ... وأدرك «تختخ» أنه سيُحاوِل نزول السلَّم ليركب المصعد. وحدَّق البصر في الظلام محاولًا أن يرى المسدس ... ولكنه لم يستطع أن يرى شيئًا، وإن كان متأكدًا أن المسدس في يد الرجل ...

ظل الرجل يقترب في حذرٍ من السلم وهو يعرج، وأصبح على بُعدِ سنتيمترات قليلةٍ من حيث يقبع «تختخ» ساكنًا في الظلام ... ثم وضع قدمه على أول السلم، وفي هذه اللحظة ارتفعت أصوات أقدام تصعد السلم بسرعةٍ وأدرك «تختخ» أن المفتش وصل ... واستدار الرجل بسرعةٍ برغم إصابته وأخذ يجري وهو يعرج ... وراقبه «تختخ»، ولدهشتِه الشديدة وجده يتجه إلى قبة المصعد ... ثم يدخل فيها ماذا يفعل هناك؟

ووصل المفتش، ووقف «تختخ» وقال: أنا توفيق ...

وقال المفتش: أين الرجل!

تختخ: إنه في قبة المصعد!

وأسرع المفتش وخلفه رجاله، وهم يُشهرون أسلحتهم إلى حيث أشار «تختخ» وخلفهم «تختخ»، و«عصام» ... وأطلق الرجال أضواء بطارياتهم القوية في قبة المصعد. وكم كانت دهشتهم ألا يجدوا أحدًا ...

قال المفتش: لا أحد هنا يا «توفيق» ... لعلك لم تره جيدًا!

تختخ: أنا متأكدٌ!

وفجأة قال «تختخ»: ولا بد أنه يركب فوق المصعد ... إنها حيلةٌ شاهدتها في بعض الأفلام السينمائية.

وأصدر المفتش تعليماتٍ إلى بعض رجاله فأسرعوا بالنزول، ووقف المفتش و«تختخ» و«عصام» وبقية الرجال ينتظرون ... ومرت فترة صمتٍ، ثم سمعوا صوت صرير المصعد صاعدًا إلى فوق ... وامتدَّت الأيدي بالكشافات القوية إلى قبة المصعد ... ومضت لحظاتٌ مثيرة، ثم صعد المصعد وشاهدوا على ضوء المصابيح رجلًا مُنكمشًا فوق المصعد قد لوَّثه الشحم ... ووقعت من على رأسه باروكة الشعر البيضاء ... وبدت في عينيه نظرة الفأر المذعور!

كان في يده مسدَّسه ... ولكن لم يكن هناك أملٌ في الفرار ... وعندما امتدت أيدي الرجال إليه استسلم بدون كلمةٍ واحدةٍ ...

ومشى بين رجال الشرطة يَعرج ... ونزلوا السلام فقال «تختخ»: أريد أن أتحدث في التليفون مع الأصدقاء لأُخبرَهم بما حدث ...

عصام: تعالَ تحدَّث من عندنا!

وأمام شقة «عصام» وقفوا جميعًا، ونظر الزعيم الزئبقي الذي طالَما استطاع الهرب من رجال الشرطة ... وقف ذليلًا محطمًا وقال له «تختخ»: أنت «شحاتة علي»؟

قال الرجل: نعم!

تختخ: وأنت «وحيد يسري»؟

ردَّ الرجل: نعم ...!

قال المفتش: لقد قام المغامرون الخمسة بعملٍ رائع!

قال «تختخ»: الحقيقة أن الفضل في وقوع هذا الزعيم الغامض يعود إلى «عصام»!

وابتسم «عصام» في سعادةٍ عندما مدَّ المفتش له يده مُحيِّيًا ... ودخل الصديقان الجديدان شقة «عصام»، وأمسك «تختخ» بسماعة التليفون ليُبلغ المغامرين الخمسة أن الزعيم الزئبقي ... (الغامض) ... المزيف، الذي كان يَختفي خلف شخصية الممثل ... قد وقع ...


هنداوي